



الرئيسية

سياسة

السعودية

اقتصاد

رياضة

ثقافة ومجتمعات

مقالات

مدرسة الحياة

نسخ «الحياة»

الكل


 الكل  "الحياة" الدولية  مجلة "الوسط"  "الحياة" السعودية

## الصعيدي الثائر على الأكاديميين 1917 - 1985 . حامد عبدالله عاشق تفرغ للرسم

**تفاصيل النشر:**  
المصدر:

الكاتب: عدلي رزق الله

تاريخ النشر(م): 21/11/1998

تاريخ النشر (هـ): 2/8/1419

منشأ:

رقم العدد: 13045

الباب / الصفحة: 17

< زارني "طائر البوح" مراراً مصطحباً عن يمينه حامد عبدالله. راوغته مراراً دون جدوى فكان عليّ أن أبوح وأكتب عن فنان له مكان خاص ومكانة عالية في قلبي وفي حركة الفن العربي الحديث.

بدأت عيوني تتفتح على أعمال حامد عبدالله في الخمسينات حين كنت طالباً غصاً أدرس الفن بكلية الفنون الجميلة في القاهرة. كان لإسم حامد عبدالله ولأعماله وقع خاص على أفئدة شباب يبحث عن الفن ولا يجد في الكليات إلا دروساً أكاديمية تتبع مناهج الأكاديميات الإيطالية والفرنسية بقصور التابعين وضيق أفقهم. نأثر على الأكاديمية والأكاديميين. فن مصري لرسام متمكن وموهبة شديدة الخصوبة والخصوصية أيضاً. كانت سنوات الخمسينات سنوات خصوبة عارمة في الفن التشكيلي المصري، حيث فرسان السورالية التي استقطبت أهم مواهب تلك الفترة الثرية من محمود سعيد إلى الجزار وحامد ندا ثم فؤاد كامل وآخرين كثر لست في مجال حصرهم جماعات الفن مثل الفن والحرية والفن للجميع. تجمعات للفنانين، لكن حامد عبدالله وكمال خليفة تفردا بشخصيتها الفنية التي لا تصلح للانضمام إلى أي جماعة أو تجمع. فهناك دائماً "أحاد"، أو ما يقول عنهم صديقي الشاعر السماح عبدالله "الواحدون" وأنا "واحد" منهم.

أرحل إلى باريس حاملاً معي إعجابي وانبهارني بأعمال حامد عبدالله التي تحققت في الأربعينات والخمسينات من هذا القرن. لم أبحث عن الرجل حينذاك فقد كنت مازلت مشروع فنان يحس أنه لم ينصح بعد ليستحق الالتقاء بالفنان المحبوب. أقمت معرضي الأول ولم أغامر بدعوة الفنان الأثير إلى قلبي خوفاً ووجلًا. يمر عامان لأقيم معرضي الثاني بعد نجاح كان قد تحقق في العرض الباريسي الأول. وأفكر في دعوة حامد عبدالله. يتصادف أنني كنت في خلاف مبدئي مع المسؤولين عن العرض بالمركز الثقافي المصري آنذاك. يأتيني فنان كبير مصري لينصحنى بعدم التمسك بما رآه حقاً. أتعجب!!، بعد هذا اللقاء بساعة يأتيني صوت على الهاتف قائلاً: أنا حامد عبدالله. وأرحب بالفنان قائلاً: جاءت لحظة دعوتك إلى معرضي. يقاطعني الرجل بعربية فصحة كان لا يحيد عنها في حواراته اليومية العادية - أعتقد أن هذا ملمح مهم لمعرفة شخصيته واندماجه وحسه القومي. يقول لي حامد عبدالله على الهاتف أنت رجل والرجال قليل. موقفك صحيح ومبدئي. أنا معك. سنصبح أصدقاء نلتقي بمعرضك.

وقامت بيننا صداقة دامت واستمرت منذ يومها الأول بحميمية واحترام وحب. أقترت من الفنان ليزداد إعجابي بفنه والفنان الرجل أيضاً. وأبحث في أوراقه لأعرفه فأقوله لكم في كلمات أنا أعرف منذ البداية قصورها. فهذا فنان يستحق منا بحوثاً أكاديمية علمية توثق وتحلل وتلقي الضوء وتستنبط الدروس المستفادة. لكنني سأكتب انحياز فنان لفنان أحبه وأحب أعماله وهذا كل ما أستطيع، ولعل به بعض الفائدة.

ولد حامد عبدالله في العاشر من آب أغسطس 1917 بمدينة القاهرة. ابن اسرة صعيدية نزحت من الجنوب لتعمل مراكبية على نيل المنيل وهو أحد الاحياء الشعبية العريقة. يدرس حامد عبدالله ما بين 1931م الى 1935م تشكيل الحديد بمدرسة الفنون التطبيقية. لاحظوا اختيار الخامة الصعبة التي تلائم صلاية الرجل. تفسر لنا هذه الدراسة استخدام حامد عبدالله للخط

الاسود الرصين المحيط بكل اعمال سنوات الاربينات والخمسينات التي عبرت عن وجوه وشخص مصرية شعبية. كان المقهى وابن البلد والفلاح هم شخص اعماله في تلك الفترة. تذكروا أننا في الاربينات تحوطينا تأثيرية ناعمة استوردها يوسف كامل، ومخملية رصينة استوردها احمد صبري، ونظرة استشرافية فلكلورية من فنانين اجانب عاشوا في مصر وتلمذ الكثير على ايديهم.

يعشق حامد عبدالله الرسم وظل حتى آخر ايامه مخلصاً له عاشقاً يتفرغ للفن. فأنا أرى فيه أول "المتفرغين" ويبدأ أول رحلة فنية له عام 1939 - عام ولادتي - وينتهي عام 1942 من التعرف على أرض مصر من الجنوب الى الشمال حتى الواحات في الصحراء. كان قد زارها واصطحب من تلك الرحلات معرفة عينية بشعب مصر رجالاً نساء. آلاف الرسوم وعشرات اللوحات حققها الفنان آنذاك.

يفتح حامد عبدالله أول محترف لفنان مصري يدرس الفن مزاحماً للخواجات الطلاينة والفرنسيين. تتجمع في مدرسته نساء الطبقة البرجوازية العليا وبعض أميرات البيت المالكي حتى الملكة فريدة. من الفنانين الذين درسوا على يديه الفنانة إنجي افلاطون وصفية حلمي حسين، وقد أكدت صفة لي ما قاله حامد رغم ان انجي - رحمها الله - انكرت انها كانت تلميذته. يلتقي بتحية حلمي وتلمذ على يديه. يحبها وتحبه. تزوج ابنة كبير ياوران الملك فؤاد ابن الفلاح رغم اعتراض الاسرة. على شاطئ الاسكندرية تقدم له إحدى اعمالها وكانت تحية قد سارت في الفن خطوات، ويشير المعلم وترفض الفنانة نصائح أستاذها لأول مرة. ولا يرضى الفنان الصلب باعتراض تلميذته، ونصر تحية حليم على الانفصال. يمر عام على الانفصال ويموت والد تحية حليم فتعود الى حامد، وأسألها لماذا. تتبسم بنعومة أثره قائلة: إنه الرجل في حياتي. يقوم الزوجان برحلات الى اوربا، تحية تلمذ وحامد يحاور المنتج الغربي ويناقش ويأخذ موقفاً نقدياً سلباً وإيجاباً وهذا كان حديث تحية حليم لتوثيق ما أخبركم به.

لحامد عبدالله همومه السياسية النضالية. يقول مؤنس حامد عبدالله في كتاب صدر بباريس عن حامد عبدالله أنه شارك في النضال ضد الانكليز ولا يذكر لنا تفاصيل ذلك. ويذكر مؤنس ايضاً ان حامد عبدالله لم يسامح عبدالناصر أبداً حين ارسل القوات العسكرية الى العمال المضربين في كفر الدوار واعتقل البقري وخميس، وكانت هذه الحادثة أحد أسباب خيبة أمله في الثورة ورحل الى الغرب ليجد نفسه منغمساً في الدفاع عن الثورة ومصر والمصريين ضد ضحالة معلومات الشعوب الاوروبية وانحيازاتهم التي تتسم بعدم الموضوعية بل تصل الى حد العنصرية احياناً.

يحقق حامد عبدالله نجاحاً في عروض بقاعات العرض الخاصة بالعواصم الاوروبية التي عرض بها وهي كثيرة. باريس ولندن وامستردام وروتردام وكوبنهاغن وواشنطن ونيويورك، هذا بالإضافة الى بعض البلاد العربية خاصة سورية - وتتوالى اعمال الفنان، ويعتبر حامد من أوائل الفنانين العرب اللذين قد استخدموا الحروف العربية في لوحاتهم. وتتميز لوحات حامد الحروفية بأنها لم تسقط في هوة تحويل الحروف الى نغمات موسيقية شكلية فرغت طقس الكتابة العربية وتقاليد الرصينة من قيمها التشكيلية وحولتها - تلك اللوحات التي سقطت في هوة الزخرفية - الى اشكال تجريدية تدغدغ الذوق الاستشرافي الغربي. الكلمة عند حامد عبدالله تتحول حروفها الى شخص شرسة ومعبرة. فلوحة مثل "انهض" أو "الخائن" أو "الهزيمة"، ولو اخترنا لوحة "الهزيمة" مثلاً فقد لا تستطيع احتمالها إن كنت مصرياً. تحولت الكلمة الى رجل راكع في وضع مهين يدعو الى امتنائه. إنها تثير فيك احساساً عنيفاً برفض الهزيمة والعراك معها بل ومحاولة الخروج منها حينئذ تتلفك لوحة انهض بتحريضها السافرة المباشرة. هذه المجموعة تستحق بحثاً منفرداً تقوم به رسالة دكتوراه بدلاً من الموضوعات المستهلكة.

سطوح اعمال حامد عبدالله منذ بداية اعماله تدعونا الى تأملها والوقوف عند جمالية السطح الفنية. بعض لوحاته وصل فيها الى تشققات نراها في ارض مصر العطشى الى الماء احياناً.

لا محاكاة أو شبهتها بل هو تحقق وبحث فني. مجموعات اللوحات التي تمثل صخوراً تجريدية وأغلبها في الأسود والابيض بحث آخر فني.

أعترف لكم بالرغم من ان التحقق الفني في كل اعمال حامد عبدالله كان لافتاً للنظر، ولا يخفي على العين أبداً ويشاركني الرأي إدوار الخراط حين قال: "لا اظن أن فناناً مصرياً استطاع ان يسيطر على مراحل فنه المختلفة، مرحلة بعد مرحلة، بأستاذية وإلهام لا يخطيء على تنوع هذه المراحل، واتساقها في أن مثل ما فعل حامد عبدالله".

بالرغم من اتفاقي إلا أنني أجد نفسي منغمساً في وله خاص بأعماله الأولى حيث رسوم الانسان المصري المسيطر على وجدان الفنان، وحيث محاولات نقل الشخصية المصرية بحب وود من ناحية وبأستاذية واقتدار وبحث فني لا يجارى ولا يبارى باغت به الحركة التشكيلية المصرية في الاربينات والخمسينات والذي أثر على أعمال فنانين كثر أذكر منهم أعمال الفنانة جاذبية سري. حين رسمات أنا نفسي مجموعة شهادات الغضب أهديتها الى حامد عبدالله لأنني وجدت بها شيئاً ما يربطني بأعمال تلك المرحلة الأثيرة الى قلبي في أعمال الفنان. الخطوط السوداء الصريحة التي تجوب اللوحة رصينة قوية شامخة وحنونة رقيقة في أن واحد. كيف هذا هو إعجاز حامد عبدالله. تتحاور تلك الخطوط السوداء التي تأخذ مساحة كبيرة من سطح اللوحة بالوان صريحة حيث الاحمر والاصفر والازرق بكل تصوعهم وضوئيتهم الصريحة تحكمها وترشدها وتعطيها الخطوط السوداء حياة خاصة فتنبض الألوان بالحياة. وأرى ان شراسة وسطوة حامد عبدالله تتوازي مع سطوة وشراسة بيكاسو وجويا. تتاطحهما وتباريهما ولا تقل عنهما بأي حال من الاحوال.

يثور السؤال في وجداني دائماً:

كيف استطاع حامد عبدالله الذي عاش قرابة الثلاثين عاماً في الغرب الاحتفاظ بهويته. برحلاته الأولى للإطلاع والحوار مبررة لدى. سفره الغاضب مبرر لدى. لكن ان يبقى كل هذه الاعوام ليس مبرراً واعتقد أن حامد الفنان خسر الكثير بالبقاء في الغرب كل تلك السنوات وخسر الفن وخسرنا نحن من جراء ذلك.

حينما أبلغت حامد أنني عائد إلى أرض الوطن عام 1980 لم يصدق أولاً، وعندما أريته البطاقات اغرورقت عيناه بالدموع واحتضني ووصلتني الرسالة وخفضت عيني خجلاً من أن أرى حامد عبدالله الصلب معبراً عن عواطفه هكذا، وفي موقف ضعف.

وبدأ حامد عبدالله رحلة العودة إلى أرض الوطن مرة ثانية عام 1983. جاء وفي ذهنه شباب الفنانين بل والفنانين انفسهم. تصور أن دور "المعلم" الذي كان يمارسه في الاربعينات والخمسينات أصبح ضرورة له في هذا العمر بعد أن جاوز عمر الستين. أشفقت عليه حين كنت اراه شارحاً ومعلماً لقلوب لا ترى وأذان لا تسمع. كنت أقف بجواره صامتاً خجلاً لا أستطيع وقف حماسه. لقد تغير المناخ وأصبحنا نطبل ونزمر للشباب على حق أحيانا وعلى غير حق في أغلب الاحوال.

وبدأ حامد عبدالله الرسم على المقهى مرة ثانية. جلسنا معه أنا والفنان زهران سلامة على مقهى ببولاق فأخرج أوراقه وبدأ يرسم الرجال والنساء بأستاذية بهرنا. ملت على صديقي زهران هامساً لقد عاد "حامدنا".

حاولت ان يقيم له اتيليه القاهرة عرضاً لأعماله فأشاروا عليّ بأن يقدم طلباً ويدفع إيجاراً... وضحكت باكياً أو العكس، وكان هذا من يتاجرون بإسمه الآن.

قالت عنه المخلصة تحية حلیم: عندما جاني يا عدلي وضع رأسه على كتفي وبكى.

وبصر الرجل على العودة ويقيم شهوراً طويلة بموقف دون كيشوتي نبيل. وفرحنا لعودته واستبشرنا خيراً، لكن المرض اللعين هاجمه وحاول مصارحته. يقول لي جورج البهجوري الذي يعتبر نفسه قد تتلمذ على رسم حامد عبدالله وكنا نمر أمام المستشفى ان حامد عبدالله ضم يديه صارخاً لن تهزمني. كان يحدث المرض وكان هذا قبل رحيله بيوم واحد. واغرورقت عينا بالدموع، ومات في باريس.

حامد عبدالله احد ابناء مصر البررة، ولا تجود الطبيعة بمثل تلك الموهبة إلا نادراً، وفي العالم المتقدم يحتفون بتلك المواهب وانجازاتهم احياءً أو أمواتاً. حتى لو أخطأوا في تقدير المواهبه يستدركون اخطاءهم ولو بعد الموت وليكن لأعمال حامد عبدالله بعض حظ ونصيب أعمال فنان غوغ. ماذا لو أقمنا متاحف فردية لمثل هؤلاء الأحاد وأنا رأيت بعيني مدى دأب وإخلاص زوجته السيدة الدانمركية الأصل الفرنسية الجنسية، وكيف أنها تعطي كل وقتها لأرشفة والحفاظ على تراث حامد عبدالله انتظاراً ليوم أرجو ألا يطول انتظاره.

متحف لحامد عبدالله ايها القادرون على ذلك.

\* فنان تشكيلي مصري.

## الرئيسية

### سياسة

العالم

العرب

الخليج

### اقتصاد

العالم

العرب

الخليج

### ثقافة ومجتمعات

العالم

العرب

الخليج

### السعودية

الرياض

الشرقية

مكة المكرمة

مناطق أخرى

### رياضة

العالم

العرب

الخليج